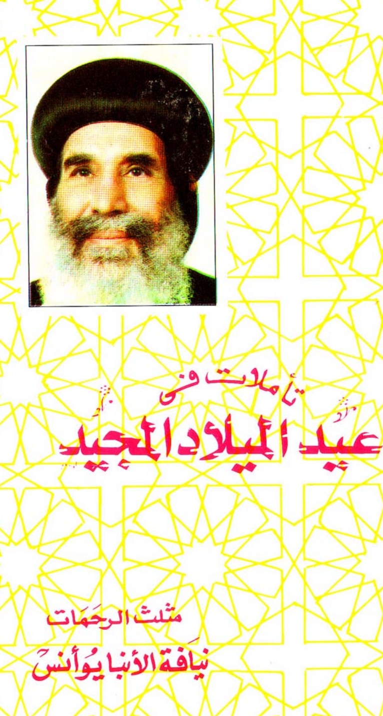


تأملات فى عيد الميلاد المجيد

مثلث الرحمات
نيافة الأنبا يوأنس

صفحة بيضاء

تأملات فى
عيد الميلاد المجيد

مثلث الرحمات

نياقة الانبا يوأنس

الطبعة : الأولى ديسمبر ١٩٩٧م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .

رقم الإيداع : ١٤٣٦٣/ ١٩٩٧
I.S.B.N. 977 - 19 - 4922 - 5

أبل سنتر ٣٤٥٣٤١ / ٤٠.



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

صفحة بيضاء

لمسة وفاء للسراج المنير والبستان المثمر نيافة الأنبا يوأنس

فى يوم الأربعاء ٤ نوفمبر ١٩٨٧ ودعت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى المجد حبراً من أبرز أحبار الكنيسة الأجلاء **أبينا الطوباوى الحبيب نيافة الأنبا يوأنس** بعد حوالى ستة عشر عاماً قضاها فى خدمة الأسقفية بجهد كبير فى التعليم الكنسى، وبعد أن أثرى مكتبة الكنيسة بعدد وافر من المؤلفات القيمة فى الروحيات والعقيدة والتاريخ والطقس .

وفى هذا العام نحتفل بمرور عشرة أعوام على إنتقاله إلى مجمع القديسين ولهذا فقد حرصنا على أن ننشر سلسلة من الكتيبات الصغيرة فى مناسبات مختلفة كلمسة وفاء لذلك السراج المنير والبستان المثمر **نيافة الأنبا يوأنس** الذى وإن مات يتكلم بعد ..

وفى هذه المرة ننشر محاضرة له بعنون « **تأملات فى عيد**

الميلاد المجيد» .. ألقاها نيافته يوم الجمعة ٢/١/١٩٨٧ فى بداية العام الذى إنتقل فيه نيافته للمجد.

نحن نطلب لأبينا الحبيب نياحاً فى أحضان القديسين الذين كتب سيرهم والشهداء الذين أكرم أجسادهم ورفاتهم وأن يذكرنا دائماً نحن أبناؤه وأحباؤه **أمام عرش النعمة. بصلوات أبينا الحبيب صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث أطال الله حياته.**

وإلى اللقاء فى الكتيب القادم عن «**كيف نصوم صوماً روحياً ؟**»

ولإلهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى أبد الآبدين أمين

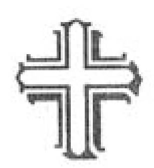
١٤ نوفمبر ١٩٩٧م — **إيبذياكون جرجس إبراهيم صالح**

٥ هاتور ١٧١٤ش — خادم وتلميذ مثلث الرحمات الأنبا يوأنس

عيد جلوس قداسة

البابا شنودة الثالث

أطال الله حياته



باسم الآب والأبن والروح القدس اله واحد آمين

أحدثكم اليوم أيها الأخوه عن عيد الميلاد المجيد، حتى مايولد السيد المسيح فى قلوبكم ويكون للعيد بهجة ونعرف كيف نستعد للعيد وكيف نحتفل به ونفرح ونعيد كما يحق للمسيحيين .

ونريد الآن أن نتأمل فى بعض المعانى التى وردت فى بداية الإصحاح الثانى من إنجيل معلمنا لوقا البشير (لو٢: ١-٧) لكى مانعرف كيف نفرح بهذا العيد فرحاً حقيقياً وليس كما يتخيل بعض الناس ويظنون أن فرحنا بالعيد هو فرح مادى، لذلك كان لابد أن نعرف السبب

الحقيقى لفرحنا بهذا العيد حتى يكون فرحنا حسب إرادة الله

يقول معلمنا لوقا «وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة» (لو ٢ : ١)

بداية نوضح أنه لم يكن معروفاً فى ذلك الوقت سوى ثلاث قارات من العالم هى أفريقيا وآسيا وأوربا، وحتى هذه القارات كانت منها أجزاء كبيرة مجهولة وكان العالم المعروف حينئذ خاضعاً كله تقريباً لسلطة سياسية واحدة إذ كانت هناك دولة قوية تحكم معظم العالم تُعرف بالدولة

الرومانية، وقد سميت بهذا الإسم نسبة الى عاصمتها روما التى مازالت عاصمة لإيطاليا حتى الآن. كانت هذه الدولة تمتلك أوربا كلها تقريباً والساحل الشمالى لأفريقيا بالإضافة الى الشام وأجزاء كبيرة من آسيا، حتى أن البحر المتوسط كان عبارة عن بحيرة رومانية تحده أملاكها من الشمال والجنوب . ولقد كانت الأمبراطورية الرومانية رمزاً للعلم والحضارة حتى ان كل انسان كان لايتمتع بالمواطنة الرومانية كان يطلق عليه اسم (بربرى) - ليس بمعنى اسود - ولكنها كلمة لاتينية بمعنى همجى، وكان أوغسطس هذا هو قيصر هذه الدولة الرومانية، وهو الذى أصدر أمراً أن تُكتتب كل البلاد الخاضعة سياسياً لدولته .

والذى اريد أن أوضحه وأركز عليه هنا، هو أن يد الله

كانت وراء الأحداث وكانت تشكل التاريخ، فمنذ الوعد القديم الذى صار لأبوينا الأولين (نسل المرأه يسحق رأس الحية) ظل العالم ينتظر.لم يستطع العالم أن يفعل شيئاً ولكن يد الله هى التى كانت تدبر وترتب وهى التى كانت تكمل، ولما كمل كل شىء وصار كل شىء مرتباً ومهيئاً جاء المخلص «**لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى**» (غل ٤:٤،٥)

حتى أوغسطس قيصر الرجل الوثنى أستخدمه الله فى إتمام مقاصده، فلأول مرة يصدر أمبراطور رومانى أمراً بالأكتتاب على مستوى الدولة : «**وهذا الإكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية**»(لو ٢:٢)، وعندما أمر أن

يصدر مرسوم بأن يتم عمل إحصاء لكل الرعايا فى انحاء إمبراطوريته كان هدفه من ذلك هو عمل حصر وتنظيم لعملية جمع الضرائب من كل البلاد والمستعمرات التى تخضع للدولة الرومانية. لقد كان كل هدفه وتفكيره محصوراً فى كيفية جمع المال من الناس، ولكن الله إستطاع أن يحول هذا الإهتمام بالمال وبالمادة الى خير للبشرية كلها .

هل كان يدرك هذا الأمبراطور الوثنى أنه يمهد لمجىء السيد المسيح ؟؟ ... لأنه بإصداره هذا الأمر أضطر يوسف أن يذهب مع مريم خطيبته الى مسقط رأسيهما فى بيت لحم لكى مايولد السيد المسيح هناك، وتتم النبوءة القائلة **«وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل»** (مت ٢:٦، مى

٥:٢) . لم يكن الأمبراطور يدرك هذا، ولكنه كان أداة في يد الله ضابط الكل، ولم يحدث هذا لمجرد الصدفة ولكن تدبير الله هو الذى يحسم كل شىء .

لذلك ياأحبائى فنحن لايجب عليناأبداً أن نفكر فى أى شىء من أمور حياتنا، وأقصد بالتفكير هنا الاهتمام الزائد أو الهم، الشىء الوحيد الذى يجب أن نتأكد منه هو هل نحن **فى يد المسيح أم لا ؟ . . فإذا تأكدنا أننا فى يد المسيح لانخاف ولانفكر فى أى شىء أبداً لان يد المسيح أمينه «خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى . . . ولا يخطفها أحد من يدى»** (يو ١٠:٢٧، ٢٨)، والله يهيىء الامور ويدبر الاحداث لأولاده «**ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله**»(رو ٨:٢٨). كل الاشياء هنا تعنى أنه حتى

الشر يستخدمه الله ليحوله الى خير لأولاده، فالله قادر أن يسخر أشر الناس من أجل مصلحتنا ، وأن يدبر أمورنا بالنيابة عنا ، وياليت إيماننا ينمو، ونرتفع بمشاعرنا نحو الله حتى لاننزعج أبداً ولانخاف من أى شيء، لاننا أولاد الله، ويجب أن نجعل كل أهتمامنا كما قلنا من قبل أن نسلم أنفسنا فى يد السيد المسيح، وبعد ذلك لانفكر فى أى شيء «**لكن شعرة من رؤوسكم لاتهلك**» (لو ٢١ :١٨) .



وبعد ذلك يقول «فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية» (لو ٣:٣، ٤)

كان شرط الإكتتاب أن كل شخص يرجع الى موطنه الاصلى، وذلك أشارة الى أنه بميلادالسيد المسيح سنعود نحن أيضا الى موطننا الاصلى الذى هو السماء، فنحن لسنا من هذا العالم «**لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا إخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم**» (يو ١٥:١٩) وطوبى للإنسان الذى يعمق فى قلبه الشعور بالغربة عن هذا العالم، لأن إحساسه بالغربة

سوف يلازمه إحساس عميق بالتجرد **«لاتحبوا العالم ولا الاشياء التى فى العالم إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب»** (١يو ٢: ١٥) .

نريد هنا أن نتوقف عند كلمة (صعد يوسف) فالإنسان الذى يريد أن يرى يسوع الطفل المولود بصورته الحقيقية لابد أن يصعد بفكره، لان الفكر البشرى لايمكن أن يدرك أو يرى حقيقة هذا الطفل الآلهى، بل سيراه مجرد طفل حقير فى مذود بهائم . إنما الانسان الذى يصعد بالتأمل ويصعد بفكره الروحى يستطيع أن يرى ويدرك من هو يسوع ومن يكون، وكما صعد يوسف ليكتتب فكلنا مدعوون لإكتتاب كبير، مدعوون أن نكتب أسماءنا فى سفر الحياة. الامر الأول صدر من أوغسطس قيصر الإمبراطور الوثنى، لكن الاكتتاب الذى أحدثكم عنه اليوم

صـــدر من عـنـد ملك الملوك ورب الأرباب الذى كـــان هذا القيصر أحد عبيده، ولكى نكتتب فى سفر الحياه يجب أن نصعد بالتأمل، نصعد بأفكارنا، نصعد بقلوبنا وحبنا، ليس صعوداً مادياً كى نرى مولوداً فى مذود ولكنه صعود روحانى كى نرى المسيح الممجد الكائن على الكل إلهاً مباركاً الى الآبد .



«فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته» (لو ٢:٤)

كلمة (بيت لحم)هى تسمية عبرية تعنى (بيت الخبز) ولم يكن إختيار هذا المكان بالصدفة، بل لأنه سيولد فيه خبز الحياة الذى قال عن نفسه «**أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد**» (يو ٦:٥١) ونحن فى الكنيسة نُسمى الحجرة التى يُعجن فيها القربان ويخبز بيت لحم، فلنأت إذاً يا أحبائى الى بيت لحم، ليأتى الجوعان فيأكل من هنا، ها هو المذبح وعليه وليمة مستمرة ومن يأكل

من هذا الخبز الذى هو جسد الرب لن يجوع الى الآبد .

ثم يقول «ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهى حبلى» (لو ٢:٥)

وأود أن أشير هنا الى كلمة (إمرأته المخطوبة)لأن بعض الطوائف البروتستانتية والذين لايؤمنون بدوام بتولية العذراء مريم بعد ولادتها للسيد المسيح يقفون أمام كلمة إمرأته ليدللوا بها على أن السيدة العذراء تزوجت من يوسف ولكن الكتاب المقدس هنا يذكر تعبير (إمرأته المخطوبة) مخطوبة أى مازالت بنتاً لم تتزوج، ولاتوجد طائفة مسيحية تنكر الميلاد العذروى للسيد المسيح، وأنه ولد من السيدة

العـــذراء وهى بكر«**كـيــف يـكـون هــذا وأنا لـــســت أعـــرف رجـــلاً**» (لو ١: ٣٤).

فالسيد المسيح لم يُولد نتيجة زواج رجل بإمرأه، ولكنه هو المن السماوى الذى نزل من السماء ولم يتدخل أحد فى صناعته، ولكن هناك بعض الناس يفهمون كلمة إمرأه فهماً خاطئاً، فالسيدة العذراء لم تعرف يوسف معرفة الزواج لاقبل ميلاد المسيح ولابعد ولادته، وعندما يذكر الكتاب أنهاولدت إبنها البكر فلا يعنى ذلك أنها ولدت أولاداً آخرين كما تدعى بعض الطوائف البروتستانتية، إذ يدعون أن السيد المسيح له أخوة بالجسد، وأن يوسف النجار عرف مريم معرفة الزواج بعد أن ولدت الرب يسوع، وولدت منه الأربعة المذكورين فى العهد الجديد أنهم أخوة الرب وهم

يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . وفى الواقع أن هؤلاء هم أولاد خالته مريم زوجة كلوبا وكانت عادة اليهود أن يطلقوا على أولاد الخالة لفظ أخوة، وكلمة بكر هنا تعنى الأول - أى أول مولود- بصرف النظر عن وجود مواليد آخرين بعده أو عدم وجودهم، والسيد المسيح بالفعل كان من هذه الوجهة هو بكر العذراء مريم، وقد ذكرت كلمة بكر هنا لأن الله أمر اليهود فى الشريعة أن يقدسوا كل بكر فاتح رحم للرب .



«وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد» (لو ٢: ٦)

كان مولود السيدة العذراء هو الطفل يسوع المسيح، أما مولود النفس البشرية **فهو الفضيلة** ولذلك عندما يفسر القديس إيرونيموس (هو القديس چيروم من آباء الكنيسة فى القرن الرابع) كلمات الرب يسوع عن الأيام الأخيرة «**ويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام**» (مت٢٤: ١٩) يقول (النفس الحبلى هى تلك التى لم تلد الفضيلة، أما النفس المرضعة فهى التى مازالت فضيلتها رضيعة وصغيرة) .

وقد ولدت السيدة العذراء مولودها فى المذود الذى يشير الى عمق الإتضاع، وكذلك لاتلد النفس البشرية الفضيلة إلا

بالإتضاع، وكل فضيلة يمارسها أو يقتنيها الانسان إن لم تُملح بملح التواضع فهى مرفوضة والله لايريد مثل هذه الفضيلة . فرغم أن الكتبة والفريسين كانوا يحفظون الناموس وكانت لهم فضائل معينة لكنهم أضاعو كل هذا بالكبرياء والسيد المسيح لخص خطيتهم فى عبارة واحدة «**لانهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله**» (يو١٢: ٤٣) .

إذاً لايمكن أن تلد نفس الانسان المسيحى الفضيلة إلا إذا دخل المذود الى السيد المسيح «**ليكونوا مشابهين صورة إبنه**» (رو٨: ٢٩) هذه هى البداية أن يدخل الانسان المذود كما دخله المجوس فيسجد للرب ويقتنى التواضع .

«فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل» (لو ٢:٧)

عندما ننظر الى خريطة بلاد فلسطين نجد أن هناك مسافات كبيرة بين الناصرة وبيت لحم، ونظراً لأن السفر كان في أيام السيد المسيح يتم إما سيراً على الأقدام أو على الدواب، فقد كان المسافر على هذه الطرق الطويلة مضطراً أن يبيت في الطريق، ولذلك كانت توجد على الطريق فنادق أو ما يسمى (نُزُل)، ليبيت فيها المسافرون عندمايحل عليهم المساء وهم في الطريق، كما كانت توجد بها أماكن ليضعوا فيها دوابهم تسمى (بالمذود).

وعندما جاء يوسف ومعه خطيبته مريم الى أحد هذه الفنادق ليبيتا فيه لم يجدا فيه مكاناً لهما، كان الفندق كله مشغولاً لأن المسافرين كان عددهم كبيراً، فقد أتى الناس من كل أنحاء البلاد ليكتتبوا وينفذوا أمر أوغسطس قيصر، ويبدو أنه كان هناك تهديد بتوقيع عقوبات على من لايكتتب فى مسقط رأسه.

للأسف كان الفندق كله مشغولاً، ولم يجدا غير مذود البهائم لتلد فيه مريم طفلها، كانت الحيوانات أشد عطفاً عليهم من الإنسان، ولتتم نبوءه أشعياء «**الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف، شعبى لايفهم**» (**اش ١ : ٣**).

فالله الذى لايسعه العالم، الذى يعطى الغنى للأغنياء

ويهب القدرة للمقتدرين، ملك الملوك ورب الأرباب، خالق الكل مالىء الكل وضابط الكل . حينما أتى الى العالم لم يكن له موضع «الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو ١:١١)، حتى قبل أن يكلمهم أو ينقدهم أو يوبخهم على خطاياهم .

وبكل تأكيد كان هذا هوحال العالم الذى أقبل اليه السيد المسيح،كان العالم فى حالة مريرة من الشر، وكان الشر قد إكتمل ووصل الى ذروته، والخليقة التى خُلقت فى يوم من الأيام على صورة الله قد فسدت وتشوهت صورتها تماماً، فلاعجب ولاغرابة ألايجد المسيح موضعاً له، ولاقلباً مفتوحاً له.

وأنا أريد أن أسألكم ياأحبائى ... هل السيد المسيح له موضع فى قلوبكم أم ستضعونه أنتم أيضاً فى المذود ؟ ..

فإن كان اليهود لهم عذر فيما فعلوه فما عذرنا نحن الذين ذقنا من مواهب الدهر الآتى؟.. ماعذرنا نحن الذين نلنا إيماناً ثميناً وأعطينا مواعيداً عظمى وأعطانا الله ذاته لنأكل ونشرب؟..

يجب أن يكون هذا هو موضع تفكيرنا الاساسى فى هذا العيد، فالسيد المسيح يريد أن يأتى الآن ويُولد فى قلوبنا وفى حياتنا، يريد أن يبدأ معنا الطريق من الميلاد حتى الجلجثه، ليعطينا الخلاص العجيب الذى لصليبه، فهل له موضعاً فى قلوبنا أم لا.. ولايعرف الإجابة على هذا السؤال إلا الإنسان نفسه «لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه» (اكو ٢: ١١).

فإن كنا نتأثر عندما نقرأ هذه الامور ونتعجب كيف أن العالم لم يجد موضعاً للمسيح؟.. فصدقونى نحن أيضا فى نفس هذه الحالة، والأمر لايحتاج منا إلا لبساطة الايمان، وأن

نعد قلوبنا لكى تكون هى الموضع الذى يجد فيه الرب راحته

هذا هو الاستعداد الحقيقى للعيد، أن نعد قلوبنا حتى لايوجد بها مذود توضع فيه البهائم التى تشير الى الشهوات البهيمية التى تملأ القلب، ننظف قلوبنا من كل هذا ونطهر أفكارنا حتى يكون قلبنا مكاناً لائقاً بالرب، وحتى يولد هو فى قلبنا، ونصيح بملء أفواهنا مع يوحنا الحبيب قائلين معه بصوت واحد «**أمين تعال أيها الرب يسوع**» تلك الدعوه التى لاتحتاج الى أزمنة أو أوقات معينة، ولاتحتاج الى قطع مسافات أو تكبد مشقات، فالرب قريب، والآن ونحن فى الكنيسة نستطيع أن نطلب الله ونتمم الوصية «**أطلبوا الرب مادام يوجد إدعوه وهو قريب**» (اش ٥٥ :٦)

إذاً فالعيد الحقيقى ياأحبائى هو أن تنطلق أرواحنا وتفرح

بإنتقالنا من الموت الى الحياه، ومن الظلام الى النور، ومن العبودية الى الحرية، تفرح بالعودة الى السماء، تفرح بالخلاص الذى بشر به الملاك «**فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنه وُلد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب**» (لو٢ :١٠،١١)، تفرح فرحاً داخلياً لايستطيع أحد أن ينزعه منا، فرح لاينطق به ومجيد.

والعيد الحقيقى أيضاً هو أن نحس أن حياتنا هى ملك لله وأننا قد تركنا جهالاتنا القديمة وخطايانا المرة وتخلصنا من رباطات الخطية.

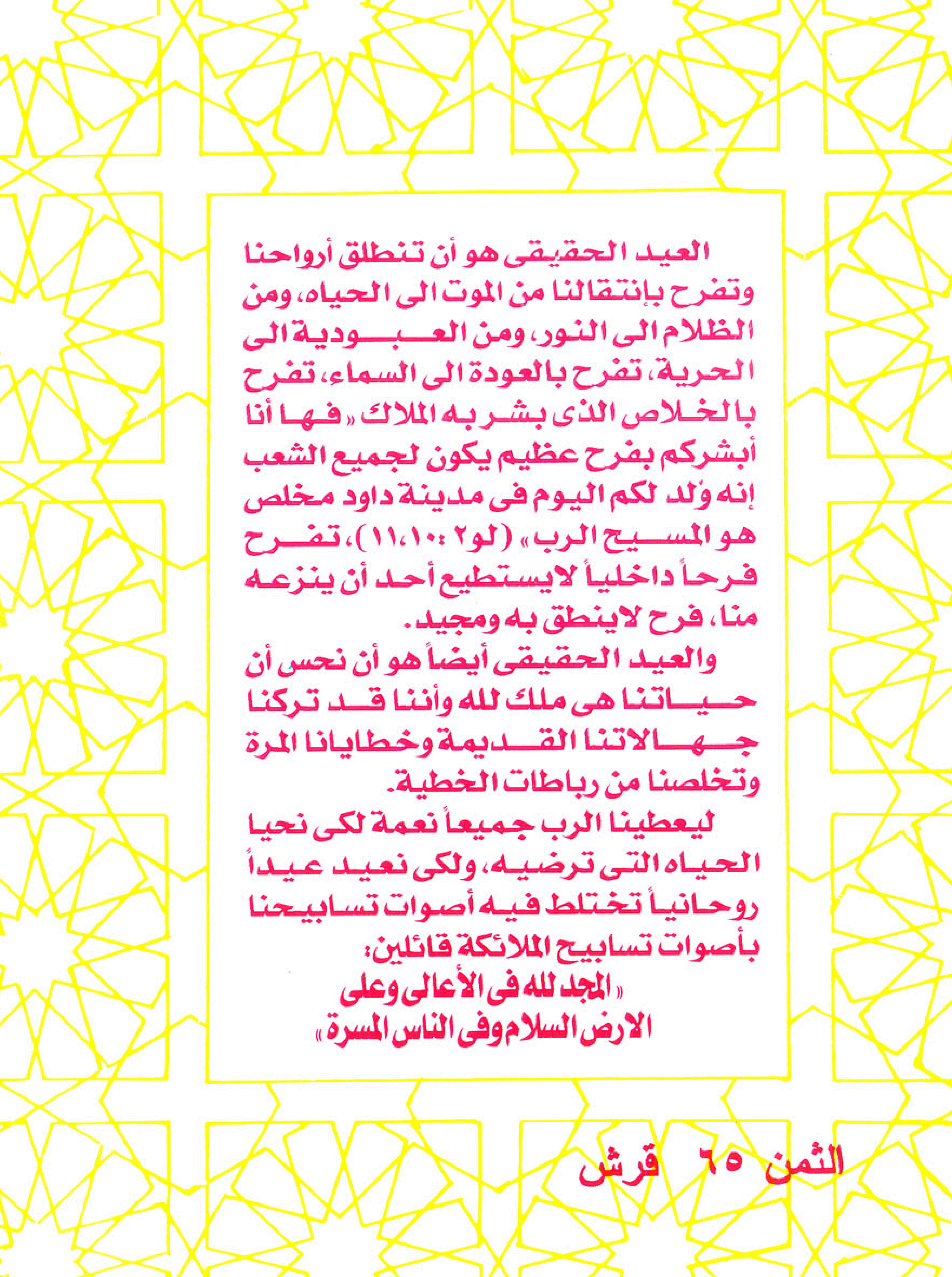
ليعطينا الرب جميعاً نعمة لكى نحيا الحياه التى ترضيه، ولكى نعيد عيداً روحانياً تختلط فيه أصوات تسابيحنا بأصوات تسابيح الملائكة قائلين:

«المجد لله فى الأعالى وعلى الارض

السلام وفى الناس المسرة» .

أهنئكم جميعاً أيها الاخوة بذكرى ميلاد مخلصنا ومخلص العالم كله، ليجعله الرب عيداً حقيقياً لجميعنا، وليبارك الرب عليكم، وكل عام وأنتم بخير .

ولإلهنا كل المجد والكرامة من الآن وإلى الابد أمين .



العيد الحقيقى هو أن تنطلق أرواحنا وتفرح بإنتقالنا من الموت الى الحياه، ومن الظلام الى النور، ومن العبودية الى الحرية، تفرح بالعودة الى السماء، تفرح بالخلاص الذى بشر به الملاك «فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنه وُلد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو٢ : ١٠، ١١)، تفرح فرحاً داخلياً لايستطيع أحد أن ينزعه منا، فرح لاينطق به ومجيد.

والعيد الحقيقى أيضاً هو أن نحس أن حياتنا هى ملك لله وأننا قد تركنا جهالاتنا القديمة وخطايانا المرة وتخلصنا من رباطات الخطية.

ليعطينا الرب جميعاً نعمة لكى نحيا الحياه التى ترضيه، ولكى نعيد عيداً روحانياً تختلط فيه أصوات تسابيحنا بأصوات تسابيح الملائكة قائلين:

«المجد لله فى الأعالى وعلى
الارض السلام وفى الناس المسرة»

الثمن ٦٥ قرش